٢٤٢ عالماً أعلنوا في كتبهم ودراساتهم الإيمان بالله.

و٢٨ عالماً لم يصلوا إلى عقيدة ما.

و٢٠ عالماً كانوا ملاحدة لم يبالوا بالناحية الدينية.

فهذا يعني أن ٩٢٪ منهم مؤمنون بالله تعالى.

ولك أن تراجع كتاب (الله بحث في نشأة العقيدة الإلهية) للعقاد، و(عقائد المفكرين في القرن العشرين) للعقاد أيضاً، و(العلم يدعو للإيمان) لكريسي موريسون، و(الله يتجلى في عصر العلم) لمجموعة من العلماء، و(قصة الإيمان) للشيخ نديم الجسر، لوجدت أسماء كثيرة جداً من العلماء الأعلام، يؤكدون عقيدة الإيمان بالله تعالى.

ثم إن كثيراً ممن اتهم بالإلحاد، لم يكن ملحداً حقاً بنظر العلم، وإنما هو ملحد بنظر الكنيسة التي كانت تحكم على مَن يخالفها بالإلحاد، فتولستوي مثلاً كان ملحداً في نظر الكنيسة، ولكنه مؤمن عميق الإيمان بالله تعالى، كما هو واضح في كتابه (اعترافات تولستوي).

والعلماء الذين كفروا بالله تعالى، لم يكن كفرهم نتيجة بحث علمي دقيق، وإنما كان لأمور منها:

أ ـ موقف الكنيسة التعسفي من العلماء وعدم تشجيعها الفكر الحر، إذ حكمت على المخالفين منهم بالكفر والزندقة، ونفذت بكل همجية حكم الإحراق والتمثيل والقتل بالعشرات منهم، وأحرقت كتبهم، وهددت بالقتل كل مَن وجدت بحوزته.

وفي كتاب (قصة النزاع بين الدين والفلسفة) للدكتور توفيق الطويل قوائم بأسماء العلماء الذين أُعدموا بهمجية تفوق الخيال، حتى استقر في ذهن بعض العلماء أن الدعوة إلى الإلحاد أمر ضروري لإنقاذ العلماء من تلك الوحشية.

والحقّ أن إلحاد هؤلاء لم يكن مبدأً، وإنما كان موقفاً اتخذوه أمام الكنيسة، حتى إذا زال ذلك الكابوس تراجعوا إلى القول بالإيمان، بدليل أن عدد المؤمنين بالله من العلماء الآن يتزايد يوماً بعد آخر.

ب ـ موقف الكنيسة الظالم من الكادحين والأرقاء والمظلومين، وكونها بجانب الملوك والمستبدين من الإقطاعيين، وكون البابوات هم أصحاب السلطة الحقيقية وأصحاب المال وأصحاب صكوك الغفران...

هذا الموقف دفع الكثير من المفكرين إلى الدعوة إلى نبذ الكنيسة، وإلى الإلحاد لإنقاذ المغلوب على أمرهم، مما يعانون به من شقاء وعنت.

جـ ـ تغلغل اليهودية العالمية عن طريق الماسونية، التي كانت تتبنى الإلحاد لهدم

مقاومة المجتمع المسيحي والسيطرة عليه، وهذا الاتجاه الماسوني الملحد ظهر واضحاً في جماعة (الأنسكلوبيديا) وأتباعهم وتلامذتهم، وقد قامت الثورة الفرنسية على أكتاف هؤلاء.

د ـ الإلحاد في كل زمان ومكان طريق للإباحية والتملص من المثل العالية، لذلك كان ملاذ أصحاب الشهوات والمنحرفين عن الخلق الرفيع.

ومجمل القول:

فالإلحاد لم يكن موقفاً أصيلاً للعلم وإنما أحدثته ظروف خاصة، أمّا المنهج العلمي فهو منطلق الإيمان بالله ﷻ ومعرفته وتقديره حق قدره[1].

المطلب الثاني
الصفات الإلهية

قسم بعض علماء الكلام الصفات الإلهية إلى ما يأتي:

١ ـ **الصفة النفسية**: وهي الوجود.

٢ ـ **الصفات السلبية**: وهي خمس:

القدم، البقاء، مخالفة الحوادث، القيام بالنفس، والوحدانية.

٣ ـ **صفات المعاني**: وهي:

القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

واختلفوا في صفة التكوين، على ما سيأتي بيانه في محله[2].

---

(١) العلم ليس كافراً ـ د. محسن عبدالحميد نشر في مجلة التربية الإسلامية العدد الثالث سنة ١٩٧٣ ص٨ وما بعدها. ونشر أيضاً برسالة مستقلة. وانظر: إحصائية دينرت في كتاب روح الدين الإسلامي ص٦٠ لطبارة، والطب محراب الإيمان ص٢٥٦.

(٢) وهنالك قسم رابع هو: «الصفات المعنوية» وهي:
كونه تعالى: قديراً، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، متكلماً. وفيها خلاف بين العلماء لا نريد الدخول فيه. سوى أن نقول: إنها نتائج لصفات المعاني.
انظر هذا التقسيم في: شرح الخريدة البهيَّة للدَّرْدِير أبي البركات وحاشية الصاوي عليها ـ مطبعة الاستقامة ص٥٨ وما بعدها، وفي شرح الباجوري على جوهرة التوحيد ـ مصر سنة ١٩٦٤ ج١ ص٤٧ وما بعدها، وفي رسالة في التوحيد والفِرَق المعاصرة ـ الشيخ كمال الدين الطائي. بغداد سنة ١٩٧٢ ص٢٤ وما بعدها.

Remove Watermark Now
pdfelement

١ ـ الصفة النفسية: (الوجود)

وجود الله ﷻ

عرّفها سعد الدين التَفْتَازاني بأنها:

صفة ثبوتية، يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عليها.

شرح التعريف:

صفة: جنس يدخل فيه سائر الصفات.

ثبوتية: نسبة إلى الثبوت، لكونها ثابتة في الذهن. فتخرج الصفات السلبية كالقدم والبقاء..

بها: أي بالمشتق منها، لا بها بنفسها، لعدم صحة ذلك، فنقول: الله موجود، ولا نقول: الله وجود.

على نفس الذات: أي أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فالذات نفسها لا تتعقل إلا بوجودها، ولذلك سميت نفسية. فتخرج صفات المعاني والمعنوية.

دون معنى زائد عليها: تفسير للقول (على نفس الذات)[1].

ووجود الله تعالى وجود كامل ذاتي، أي: أنه موجود لذاته، لا لعلة مؤثرة فيه. لأن من خصائص الذاتي: أنه لا يقبل العدم.

(١) شرح الدَّرْدِير على الخريدة وحاشية الصاوي عليه ص٥٨ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٤٩.

أما وجود غيره (كل ما سوى الله تعالى) فهو وجود ناقص تبعي، أي: أنه مستمد من غيره، ومتوقف على مَن أوجده. لأن من خصائص التبعي: أنه لا بد أن يقوم بين عدمين سابق ولاحق[1].

ومسألة وجود الله تعالى سبق الكلام عنها مفصلاً في المطلب الأول (وجود الله جل جلاله).

❑❑❑❑❑❑

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص١١٣.

pdfelement

٢ ـ الصفات السلْبية

وهي خمس:

القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنفس، الوحدانية[١]. وليس المراد بكونها سلبية، أنّها مسلوبة عن الله ومنفية عنه، وإلاّ لزم أن يثبت له الحدوث وطرو العدم ومماثلة الحوادث، بل المراد بكونها سلبية: أنّ كل واحدة سَلَبت (نفَت) أمراً لا يليق به جلّ وعز[٢].

فالقدم سلب لأوليّة الوجود، والبقاء سلب لآخريّة الوجود... وهكذا. والحق أن الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمسة، إذ من جملتها: أنه لا ولد له، ولا زوجة، ولا بسيطاً، ولا مركباً، ولا في مكان، ولا زمان، ولا جهة، وغير ذلك، وإنما اقتصر على هذه الخمسة، لأنها أمهاتها[٣].

وهذه الصفات لم يختلف بها العلماء، بل يتفق الجميع على القول بها.

١ ـ القِدَم:

القِدَم في حقه تعالى بمعنى الأزلية، التي هي كون وجوده غير مستفتح، فليس معناه تطاول الزمن، فإن ذلك وصف الحادثات[٤].

أو بعبارة أخرى:

---

(١) حصرها بهذا الصدد: الباجوري في شرح الجوهرة ج١ ص٥٠ والدَّرْدِير في شرح الخريدة، والصاوي عليه ص٥٨. والطائي في رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة ص٢٥.

(٢) الصاوي على الدردير ص٧٦.

(٣) المصدر السابق ص٦٠ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٠.

(٤) المسامرة على المسايرة ص٢٢.

معنى القدم: هو أنّ وجود الله غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بداية[١].

وضدّ القِدم: الحدوث.

الدليل العقلي على قدمه تعالى:

إن الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا وسط بينهما. ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدِث يُحْدثه، ومحدِثه يحتاج إلى مُحدِث... وهكذا. فيلزم الدور أو التسلسل، وكلّ منهما محال، فوجب أن يكون قديماً[٢].

الدليل النقلي على قدمه تعالى:

قوله تعالى: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ في الآية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

تصور صفة القدم:

من السهل على الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعدل والجلال... في ذات الله تعالى، لأنه يفهم آثارها، ويستطيع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلا أنه يستحيل عليه أن يدرك صفة القدم أو صفة البقاء، لأنه لا يحتفظ بصورة لها في الحياة، لأنها خاصة بذات الله تعالى. لكن لا تعني الاستحالة الخيالية إنكار هاتين الصفتين، لأن العقل يجزم بثبوتهما ـ كما بيّنّا ذلك في الدليل العقلي ـ.

فرُبّ أمرٍ يدرك العقل إمكانه أو وجوده، وهو في الوقت نفسه يعجز عن تصوره وإدراك كنهه، وقديماً قال الفلاسفة وعامة العقلاء: (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع)[٣].

٢ ـ البقاء:

ومعناه: أن الله تعالى أبدي، ليس لوجوده آخر، فيستحيل أن يلحقه العدم والفناء[٤].

وضد البقاء: الفناء.

---

(١) المصدر السابق وشرح ابن قُطْلُوبُغَا على المسايَرة (بهامش المسامَرة) ص٢٢.

(٢) شرح المواقف ص٤٧٠ والمسامرة ص٢٢ وشرح الخريدة للدردير ص٦٠ ـ ٦١ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٠ والاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، بيروت سنة ١٩٦٩ ص٩٢.

(٣) كبرى اليقينيات الكونية ص١١٨ ـ ١١٩.

(٤) المسامَرة ص٢٤.

pdfelement

الدليل العقلي على بقائه تعالى:

١ ـ لو لم يكن الله تعالى باقياً، لكان فانياً،

ولو كان فانياً لكان حادثاً،

ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحْدِث، ومحدثه يحتاج إلى محدث... وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت بقاؤه تعالى.

٢ ـ لو جاز عليه تعالى العدم لاستحال عليه القدم، وهو باطل لثبوت قدمه تعالى[1].

٣ ـ لو جاز عدمه لاحتاج انعدامه بعد وجوده إلى علة، لاستحالة الترجيح بلا مرجح.

٤ ـ وإذا جاز انعدامه، فإما أن ينعدم:

أ ـ بنفسه (بأن يكون انعدامه أثراً لقدرته) وهو باطل، لأنه ثبت أنه علة وجود الموجودات، فلا يقبل الانتفاء بحال، فيلزم بقاؤه كما يلزم قدمه.

ب ـ بمعدم يضاده، وهو باطل أيضاً، لأن الضد إما:

١ ـ قديم: فيلزم انتفاء الباري سبحانه معه من الابتداء أصلاً، لأن التضاد يمنع الاجتماع بين الشيئين اللذين اتصفا به، وقد ثبت وجوده تعالى.

٢ ـ أو حادث: فيلزم اندفاع وجوده بمضاده القديم، لأن القديم أقوى من الحادث[2].

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿ٱلْآخِرُ﴾ في الآية ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) الدَّرْدِير على الخريدة والصاوي عليه ص٦١.

(٢) المسامَرة ص٢٤ ـ ٢٥ وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد ص٩٢ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٥١، والمواقف ص٤٧٠.

٣ ـ المخالفة للحوادث:

معناها: أن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقاً. فهي عبارة عن:

سلب الجِرْمية، والعَرَضية، والكُلِّية، والجزئيّة[1]، ولوازمها عنه تعالى.

فلازم الجِرْمية هو التحيُّز، ولازم العَرَضية هو القيام بالغير، ولازم الكلية هو الكبر، ولازم الجزئية هو الصغر[2].

وضدها: المماثلة للحوادث.

الدليل العقلي على ذلك:

١ ـ أنه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها، ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث، ومحدثه يحتاج إلى محدث... وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبتت مخالفته للحوادث.

٢ ـ كل مَن وجب له القدم، استحال عليه العدم، ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العدم، فلا شيء منها بقديم فثبتت المخالفة[3].

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ونفي المماثلة يفيد الأمور الآتية:

١ ـ أنه تعالى ليس بعرض، لما يأتي:

أ ـ لأن العَرَض يحتاج إلى جسم يقوم به، فيستحيل وجود العرض قبل الجسم، وقد ثبت أن الله موجده.

---

(١) أي ليس لله تعالى جِرماً ولا عرَضاً ولا كُلاً ولا جزءاً.

(٢) الباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٢.

(٣) المصدر السابق.

Remove Watermark Now
pdfelement

ب ـ لأن احتياجه إلى شيء يقوم به علامة الحدوث.

٢ ـ وليس بجوهر:

أ ـ لأنه ملازم للعرض، والعرض حادث، فيلزم حدوثه.

ب ـ لأنه يوهم التركيب والتحيُّز.

٣ ـ وليس بجسم:

لأن الجسم مؤلف من جواهر وأعراض، وقد أثبتنا حدوثهما فيما تقدم. وذلك خلافاً:

للمُجَسِّمَة الذين قالوا بأنه تعالى جسم حقيقة، لكنهم اختلفوا: فقال بعضهم: هو مركب من لحم ودم، وبعضهم: أنه نور يتلألأ كالسبيكة البيضاء، وبعضهم: على صورة إنسان شاب أمرد، وبعضهم: على صورة شيخ أشمط[1] الرأس واللحية... تعالى الله عما يقولون.

٤ ـ وليست له صورة أو لون أو رائحة أو عوارض النفس من لذة وألم وفرح. لأن ذلك من خواص الأجسام.

٥ ـ ولا يوصف بالصغر أو بالكبر، (والكبر يراد به الحسي أما المعنوي فيوصف به كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

٦ ـ ولا متمكناً بمكان[2]:

وما جاء بالحديث القدسي **(ما وسِعني أرضي ولا سمائي، وإنما وسِعني قلب عبدي المؤمن)** فيراد به: وسع هيبتي ورحمتي.

والحديث القدسي الآخر: **(وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَهُ الذي يُبْصِر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. وإن سألني أعطيته، وإن استعاذ بي لأُعِيذَنَّه)** فيراد به: الكناية عن استيلاء محبة الله على الشخص، حتى أغنته عن شهود سواه.

---

(١) أشمط: أبيض.

(٢) انظر: صفة القيام بالنفس.

وحديث: «**وما يزال عبدي...**» إلخ. رواه البخاري في كتاب الرقاق ـ التواضع. فتح الباري ج١١ ص٣٤٠.

٧ ـ ولا مختصاً بجهة لما يأتي:

أ ـ لأن الجهات الست حادثة بإحداث الإنسان وغيره، فإن معنى الفوق: ما يحاذي رأس الإنسان، أو ظهر مَن يمشي على أربع من جهة العلو، وهي جهة السماء، ومعنى السفل: ما يحاذيه من جهة الأرض.

ثم إن الجهات اعتبارية غير حقيقية فإن النملة إذا مشت على سقف، كان الفوق بالنسبة لها جهة الأرض، لأنها تحاذي ظهرها. ولو كان كل حادث مستديراً كالكرة، لم توجد واحدة من هذه الجهات.

ب ـ إن الله تعالى موجود في الأزل، ولم يكن شيء من المخلوقات، لأن كل ما سواه حادث، كما مرّ دليله.

جـ ـ أن الاختصاص بجهة هو اختصاص بحيِّز، والحيِّز مختص بالجوهر والجسم، وقد مرّ تنزيهه عنهما.

فإن قيل: لمَ ترفع الأيدي إلى السماء؟ أجيب: بأن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة. فهو تعالى غير مختص بجهة، خلافاً:

للكرّامية: الذين أثبتوا لله جهة الفوق، من غير استقرار على العرش.

والمشبّهة والمجَسِّمة: الذين قالوا باستقراره على العرش[1].

وهو باطل بإجماع العقلاء.

٨ ـ ولا يجري عليه زمان.

٩ ـ ولا تصح له الحركة والانتقال.

١٠ ـ ولا الاتصال في الذات: بأن يكون مركباً، تتصل أجزاؤها ببعضها.. أو بالغير: فهو ليس متصلاً بالعالم، بحيث يكون حالاً، أو سارياً فيه.

١١ ـ ولا الانفصال عن العالم، لأن هذه الأمور من صفات الحوادث، والله ليس بحادث.

---

(١) يثبت كثير من الحنابلة جهة العلو لله تعالى، واستواءه على العرش، مع قولهم بنفي التجسيم. انظر أدلتهم وأقوال العلماء في ذلك في: شرح العقيدة الطحاوية ط٣ ص٢٥١ وما بعدها، ولوامع الأنوار البهية للسَّفَّاريني ـ جدة سنة ١٣٨٠هـ ج١ ص١٩٠ وما بعدها.

pdfelement

١٢ ـ ولا الاتصاف بالألوان والأشكال. وذلك خلافاً للمشبِّهة، الذين شبّهوا الباري بالمخلوقات.

١٣ ـ ولا الاتحاد ولا الحلول. خلافاً:

للنصارى القائلين باتحاد جسده بجسد المسيح،

ولغُلاة الشيعة القائلين بحلوله بعلي وأولاده،

ولغُلاة الصوفية القائلين بحلوله بالسالكين المنتهين في سلوكهم إلى النهاية[١].

والذي ذكرناه هو ما ذهب إليه جميع فرق الإسلام، من معتزلة وماتُريدية وأشاعِرة وشيعة، عدا مَن ذكرناهم من المشَبِّهة والمجَسِّمة وغيرهم.

النصوص الموهِمة للمشابهة:

وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة نصوص، تضيف إلى الباري ﷻ صفات خبرية، توهم التشبيه، كالاستواء والمجيء والنزول... التي ستأتي بعد قليل.

فاختلفوا فيها على أقوال ثلاثة[٢]، مع اتفاقهم على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وهي:

الأول: التوقف:

أي: التوقف الكامل من غير جنوح إلى التأويل أو سقوط في التشبيه، وهو مذهب السَّلَف، فهؤلاء آمنوا بهذه الصفات الخبرية، وأجروها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل، مع تغليبهم أدلة التنزيه، لوضوح دلالتها، وكثرتها، وعلمهم باستحالة التشبيه. لذا قال كثير منهم: (اقرؤوها كما جاءت) أي:

(١) انظر: المسامرة ص٢٥ و٣١ وشرح قاسم بن قُطْلُوبُغا على المسايرة ص٢٥ والمواقف وشرحه للجُرجَاني ص٤٧٣ و٤٧٤ و٤٧٨ والدَّرْدِير والصاوي عليه ص٦٣ و٧٣ ومقاصد الطالبين وشرحه ج٢ ص٦٥ وما بعدها وعقائد الإمامية للشيخ المظفر، دار النعمان ـ النجف ص٣٦.

(٢) ذكرها ابن الجَوْزي بقوله «إن إثبات الظاهر لا يخلو من أمرين، فإما أن يكون المراد من الظاهر الحقيقة وذلك تشبيه، لأن الإشارة الحسية إليه جائزة، أو يكون المراد منه غير الحقيقة وذلك تأويل. وفي الحالتين فإن ذلك ليس بمذهب السلف الذي هو التوقف الكامل من غير جنوح إلى التأويل أو سقوط في التشبيه»./ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٩٦ نقلاً عن دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي.

آمنوا بأنها من عند الله، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها[١].

لأن التأويل أمر ظني بالاتفاق يحتمل الخطأ، لا يمكن أن تفسر به صفات الباري ﷻ، احترازاً من الوقوع في الزيغ، فتفوض معانيها إلى الله تعالى.

وفسّر الإمام مالك بن أَنَس ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] بقوله: (الاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيفية مجهولة، والسؤال عنها بدعة).

وفي ذلك يقول ابن رُشْد: (إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى، باستعمال هذه الأقاويل، دون تأويلات فيها).

وقد ظلّ هذا الرأي مستمراً إلى أيام أحمد بن حَنبل ويَحيى بن مَعِيْن وإسحاق بن راهَوَيْهِ الذين ناصروه، إلا أنه لم يستمر طويلاً، لأنها تتضمن (الإحالة إلى مجهولات لا نفهم مؤداها ولا غاياتها) بل اعتبرها ابن حَزْم (مدخلاً لطريق ينتهي بالتشبيه)[٢].

الثاني: التوغل في التشبيه:

فمنهم مَن شبّه في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه...، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق.

ومنهم مَن شبّه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك. فآل قولهم إلى التجسيم، وذلك تمسكاً بالتفسير الحرفي للآيات والأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم[٣].

قال ابن الجَوْزي الحنبلي (وهو من نُفَاة التشبيه): (اعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس، فشبهوا، لأنهم لم يخالطوا الفقهاء، فيعرفوا حمل المتشابَه على مقتضى الحكم)[٤].

وهؤلاء فرق عديدة مثل: أصحاب الحديث الحَشْوِية ومنهم: مقاتل بن سليمان سنة ١٥٠هـ المفسر، ومشبهة الشيعة ومنهم: هشام بن الحكَم ت سنة ١٧٩هـ، وفرقة

(١) مقدمة ابن خلدون، مطبعة مصطفى محمد ص٤٦٣.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٩١ و١٩٤ وقول ابن رُشْد في فصل المقال ط دار المعارف ص٦٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٤) تلبيس إبليس لابن الجَوْزي. المطبعة المنيرية ـ الطبعة الثانية ص١١٣.

pdfelement

الكَرّامِية أتباع ابن كَرّام السِّجِسْتاني ت سنة ٢٥٥[١].

الثالث: التأويل:

وهو ما ذهب إليه المعتزلة، وأخذ به ـ مع تعديلات طفيفة ـ عامةُ المسلمين من شيعة وأهل سنة: ماتُريدية وأشاعرة، وفي ذلك يقول الإمام الرازي: (جميع فرق الإسلام مُقِرُّون بأنه: لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار)[٢].

وذلك لأنه ثبت عندهم بالدليل العقلي، أن الله تعالى منزّه عن الجسمية والجهة، ولا سبيل للقضاء على التشبيه، إلا إذا أولت الصفات الخبرية الواردة بالنصوص.

وحين رأى العلماء أن فتح باب التأويل له أضراره الجسيمة، وضعوا له القواعد، حتى لا يؤدي إلى التلاعب بالنصوص وفق الهوى، دون الالتفات إلى أصول الشريعة ومقاصدها[٣].

قال الشيخ عِزّ الدين بن عبدالسلام: (طريقة التأويل بشرطها، أقربهما إلى الحق) ويعني بشرطها: أن يكون على مقتضى لسان العرب[٤].

ومن أمثلة تأويلات هؤلاء للنصوص المتشابهة بما يتفق وتنزيه الله تعالى عما لا يليق به:

ما يوهم الجهة:

١ ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

الاستواء هو: الاستيلاء والملك، كقول الشاعر:

قد استوى عَمْرو على العراق ... من غير سيف ودم مُهْراق

٢ ـ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠].

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهْرَسْتاني (بهامش الفِصَل) طبعة أوفسيت المثنى ج١ ص١٣٧ وما بعدها. وانظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

(٢) أساس التقديس للرازي ص٧٩ ـ القاهرة ١٩٣٥.

(٣) دراسات في الفِرَق (السابق) ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ وانظر مقدمة ابن خلدون ص٤٦٤، والمسايرة ص٣٤ وما بعدها والمواقف ص٤٧٣.

(٤) المسايرة ص٣٧.

فالفوقية تعني: التعالي في العظمة، أي: أن الملائكة يخافون ربهم من أجل تعاليه وارتفاعه في العظمة.

٣ ـ ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت: ٣٨].

فالعندية: تعني الاصطفاء والإكرام.

٤ ـ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

أي: يرتضيه لأن الكلِم عرَض، يمتنع عليه الانتقال.

٥ ـ ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤].

أي: العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات فيه.

٦ ـ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦].

مَن في السماء: أي حكمه وسلطانه، أو ملك موكل بالعذاب.

٧ ـ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨ ـ ٩].

الدنو: قرب الرسول إليه بالطاعة، والتقدير بقاب قوسين تصوير للمعقول بالمحسوس.

٨ ـ قوله ﷺ للجارية الخرساء: «**أين اللهُ؟**» فأشارت إلى السماء فقرّر.

فأراد بالسؤال بـ(أين): أن يستكشف عن معتقدها، فلما أشارت إلى السماء، علم أنها ليست وثنية، وحمل إشارتها على أنها أرادت كونه تعالى خالق السماء، فحكم بإيمانها.

ما يوهم الجسمية:

١ ـ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

أي: وجاء أمر ربك الشامل للعذاب، أو عذاب ربك.

٢ ـ ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

أي: إتيان عذابه.

٣ ـ حديث الصحيحين: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين**

pdfelement

يبقى ثلثُ الليل الآخِر فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له، ومَن يسألني فأعطيه، ومَن يستغفرني فأغفر له»[1] أي: ينزل مَلَكُ ربنا فيقول عن الله.

Remove Watermark Now

ما يوهم الصورة:

ما رواه أحمد والشيخان: أن النبي ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»[2].

والمراد بالصورة: الصفة، مَن سمع وبصر وحياة وعلم، فهو على صفته بالجملة.

ما يوهم الجوارح:

١ - ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٧].

الوجه: أي الذات.

٢ - ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

اليد: أي القدرة.

٣ - قوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلَّها، بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرحمٰن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء»[3].

فالمراد بالإصبعين: أي صفتين من صفاته، وهما القدرة والإرادة[4].

وبهذا يتضح أن الجمهور من السلف والخلف، اتفقوا على تنزيه الله تعالى من

---

(١) البخاري في كتاب الدعوات - باب الدعاء نصف الليل - فتح الباري ج١١ ص١٢٩.
وفي كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فتح الباري ج١٣ ص٤٦٤.
وصحيح مسلم - واللفظ له - كتاب صلاة المسافرين - باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ج١ ص٥٢١.

(٢) مسند أحمد ج٢ ص٢٤٤. والبخاري - كتاب الاستئذان - باب بدء السلام./ فتح الباري ج١١ ص٣.
وصحيح مسلم - واللفظ له - كتاب البر - باب النهي عن ضرب الوجه ج٤ ص٢٠١٧.

(٣) أخرجه مسلم - كتاب القدر - باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ج٤ ص٢٠٤٥.

(٤) انظر هذه التأويلات في: المواقف وشرحه ص٤٧٣ والمسايرة ص٣٥ - ٣٦ والباجوري على الجوهرة ج١ ص٨١ - ٨٤.

المشبهة، إلا أنهم اختلفوا في طريقة تفسير النصوص المتشابهة تبعاً لعصورهم التي عاشوا بها، وهو خلاف شكلي بحت.

ولم يخالف في ذلك إلا المشبهة، الذين صوّروا الذات الإلهية كالجسم، فأخذوا ينعتونه بصفات الأجسام، وهؤلاء لا يعتد بكلامهم في ميزان النقد العلمي عند مقارنة النصوص، قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

٤ - القيام بالنفس:

معنى القيام بالنفس شيئان:

أولهما: عدم افتقاره إلى محل.

وللمحل تفسيران:

١ - الذات التي يقوم بها، لا بمعنى المكان، لأن ذلك علم من مخالفة الحوادث.

٢ - الذات والمكان معاً. قاله الغنيمي.

ثانيهما: عدم افتقاره إلى المخصِّص، أي الموجِد[1].

وضدها: الاحتياج إلى غيره.

الدليل العقلي على ذلك:

١ - الدليل على عدم افتقاره إلى مخصص:

إنه لو افتقر إلى مخصص، لكان حادثاً،

كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفات؟

٢ - الدليل على عدم افتقاره إلى محل:

أ - لو افتقر إلى محل، لكان صفة.

ولو كان صفة، لم يتصف بصفات المعاني، وهي واجبة القيام به تعالى، للأدلة الدالة على ذلك، وذلك باطل فثبت عدم افتقاره إلى محل[2].

---

(١) الباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٣.

(٢) المصدر السابق والدردير في شرح الخريدة ص٦٢.

pdfelement

ب ـ المتمكّن محتاج إلى مكانه، بحيث يستحيل وجوده بدونه. والمكان مستغنٍ عن المتمكن لجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب، ووجوب المكان، وكلاهما باطل[1].

الدليل النقلي على ذلك:

قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فإن قيل: كيف يُتصور عدم تحيُّزه تعالى في مكان؟

فالجواب هو: أن تصور المكان لأي جسم، يكون نتيجة ملاحظة واستقراء أحوال الأجسام التي نراها حالّة في مكان ما، أما قياس الله تعالى على الأجسام في وجود التحيُّز، فهو قياس باطل، ولا علة جامعة بين الأصل والفرع، وذلك:

لأن العقل البشري محدود وقاصر عن إدراك كثير من الأمور، فهو يحكم بوجود أشياء كثيرة كالروح والعقل في الجسم والكهرباء في الأسلاك المعدّة لجريانها بها... إلخ، وإن لم يعرف حقيقتها أو كنهها ولا يدرك من سرها شيئاً.

فإذا كان العقل البشري قاصراً عن إدراك كثير مما فيه وحوله، فكيف يمكن أن يتصور عدم تحيزه تعالى في مكان؟ مع أنه قطع بوجوده تعالى، وقصر عن إدراك كنهه وتصوره وفهمه؟

فحسبُ الإنسان إذن أن يؤمن بوجوده تعالى وبصفاته، ثم يَحار في فهمه وتصوُّره. وهذه هي حقيقة الإيمان بالغيب التي أمر الله به عباده[2].

٥ ـ الوحدانية:

معناها: عدم التعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال.

فالوحدانية في الذات: تنفي (الكَمَّ المتصل) الذي هو التركيب، أي: تركب الذات من أجزاء. وتنفي (الكَمَّ المنفصل) الذي هو التعدد، بحيث يكون هناك إلهان فأكثر.

والوحدانية في الصفات: تنفي (الكم المتصل) الذي هو تعدد صفتين من جنسٍ واحد كقدرتين فأكثر.

(١) المواقف وشرحه ص٤٧٢.

(٢) كبرى اليقينيات الكونية ص١٢٠ ـ ١٢١.

وتنفي (الكم المنفصل) الذي هو إثبات صفة لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم كقدرته تعالى، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

والوحدانية في الأفعال: تنفي (الكَمّ المنفصل)[1] فقط، الذي هو إثبات فعل لغيره تعالى على طريق الإيجاد والخلق[2].

وضدها: التعدد في الذات أو الصفات (اتصالاً وانفصالاً) وفي الأفعال (انفصالاً).

❊ ❊ ❊

أدلة نفي الكموم الخمسة

الأول: الدليل على نفي الكم المتصل في الذات:

(أي أنه تعالى ليس مركَّباً من أجزاء).

أنه تعالى لو كان مركباً من أجزاء، لكان محتاجاً إلى تلك الأجزاء، وإلى مَن يركّبها، وعندئذ يكون حادثاً، وهو باطل، لما تقدم من: إثبات أنه تعالى واجب الوجود[3].

الثاني: الدليل على نفي الكم المنفصل في الذات:

(أي أنه تعالى إله واحد لا شريك له، يشاركه التصرف في المخلوقات).

إنه لو لم يكن واحداً لكان متعدداً، بأن يكون هناك إلهان فأكثر، ولو كان هناك إلهان أو أكثر، فإما أن يتفقا، وإما أن يختلفا:

١ ـ فإن اتفقا على إيجاد شيء مثلاً:

(١) أما الكم المتصل في الأفعال: فإن صورناه بتعدد الأفعال، فهو ثابت، لا يصح نفيه، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء... وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال، فهو منفي أيضاً بوحدانية الأفعال. انظر: الباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٤ والصاوي على الدردير ص٦٤.

(٢) انظر: الباجوري على الجوهرة ج١ ص٥٤ والدُّرْدِير شرح الخريدة ٦٤ ورسالة في التوحيد والفرق المعاصرة للطائي ص٣٩ ـ ٤٢.

(٣) الدردير السابق.

pdfelement

أ ـ فإما أن يوجداه معاً، وعندئذ لزم اجتماع مؤثرين تامّين على أثر واحد، وهو باطل بالبداهة.

ب ـ وإما أن يوجداه مرتّبين (بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر)، وعندئذ لزم تحصيل الحاصل، وهو باطل بالبداهة.

جـ ـ وإما أن يوجده أحدهما دون الآخر، وعندئذ كان الموجد هو الإله، والثاني باطل.

د ـ وإما أن يوجد كل منهما بعض الشيء دون البعض الآخر، وعندئذ لزم عجزهما، لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سدّ على الآخر طريق تعلق قدرته به، فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز، وكل ذلك باطل، فبطل ما أدى إليه، وهو وجود إلهين متفقين.

وهذا البرهان يسمى: برهان التوارد، لما فيه من تواردهما على شيء.

٢ ـ وإن اختلفا، بأن أراد أحدهما إيجاد العالم، وأراد الآخر إعدامه:

أ ـ فإما أن ينفذ مرادهما معاً، وعندئذ لزم اجتماع النقيضين، وهو باطل بالبداهة.

ب ـ وإما أن ينفذ مراد أحدهما فقط دون الآخر، وعندئذ يلزم عجز مَن لم ينفذ مراده، والآخر مثله، لانعقاد المماثلة بينهما. وعن ابن رُشْد: إن الذي نفذ أمره هو الإله دون الآخر.

جـ ـ وإن لم ينفذ مراد أحدهما، لزم عجز كل منهما، ولزم ارتفاع (زوال) النقِيضَيْن، وهو باطل.

فبطل ما أدى إلى ذلك، وهو وجود إلهين مختلفين. وهذا البرهان يسمى: برهان التمانع، لتمانعهما وتخالفهما.

فإذا بطل وجود إلهين متفقين أو مختلفين، وجب أن يكون الإله واحداً[1].

ويمكن التعيين عن هذا الدليل بما قاله الغَزالي في إحياء علوم الدين: (وبرهانه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وبيانه: لو كانا إثنين ـ يتصف كل منهما بصفات الألوهية، ومنها الإرادة وتمام القدرة ـ وأراد أحدهما أمراً:

(١) انظر: المقاصد وشرحه ج٢ ص٦١ ـ ٦٣ والدُّرْدِير شرح الخريدة ص٦٤ ـ ٦٥ والصاوي عليه والباجوري شرح الجوهرة ج١ ص٥٥ والوسيلة ص٤٨٤.

فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته، كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً، ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان الثاني قادراً على مخالفته ومدافعته، كان هذا الثاني قوياً قاهراً، والأول ضعيفاً قاصراً فلم يكن إلهاً)[1].

الثالث: الدليل على نفي الكم المتصل في الصفات:

هو أنه تعالى لو كان له صفتان من جنس واحد كقدرتين مثلاً:

فإما أن تكون إحداهما كاملة، وعندئذ تكون الثانية عبثاً.

وإما أن تكونا غير كاملتين (ناقصتين)، وعندئذ يكون ناقصاً وكل من العبث والنقص محَال.

وإما أن تكونا كاملتين، فيلزم منه اجتماع مؤثرين على أثر واحد، وهو باطل، فبطل تعدد صفتين من جنس واحد.

الرابع: الدليل على نفي الكم المنفصل في الصفات:

هو أنه لو كان لغيره تعالى صفة تشابه صفاته، لكان مماثلاً للحوادث.

ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها،

ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث، ومحدثه يحتاج إلى محدث...

وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل.

فبطل القول بوجود صفة لغيره تشبه صفاته.

الخامس: الدليل على نفي الكم المنفصل في الأفعال:

هو أنه: لو كان لغيره فعل من الأفعال ـ على سبيل الإيجاد والإعدام ـ لكان له شريك، والشريك مُحال، كما مرّ في نفي الكَمّ المنفصِل في الذات.

والدليل النقلي على وحدانية الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغَزالي، طبعة مصر سنة ١٩٣٩ ج١ ص١١٣ ـ ١١٤ والمسامرة ص٤٥.

pdfelement
Remove Watermark Now

٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١].

Remove Watermark Now

❊ ❊ ❊

تأثير عقيدة التوحيد في الحياة

لعقيدة التوحيد آثار عظيمة على حياة المسلم. تنقله من الظلمات إلى النور، وتميز حياته عن حياة الملحد والمشرك. تتجلى في ما يأتي:

١ ـ الإيمان بالله تعالى، وبأنه واحد يمكّن المرء من العلم: بأن السماوات والأرض لها رب يكلؤها برعايته، ويرعى مَن فيها بعنايته، فيرزقهم ويربيهم.

ويعلمه بأن ليس في هذا الكون شيء يقوم بنفسه.

أما المشرك والملحد فلا يقول بمثل هذا.

٢ ـ الإيمان بالتوحيد ينشيء في الإنسان العزة والأنفة. فالله هو القويّ، ولا ضار ولا نافع ولا محيي ولا مميت إلا هو، فلا يطأطيء رأسه لأحد، ولا يتضرّع إليه، ولا يرتعب من كبريائه.

أما المشرك والملحد فيرى غيره قادراً على نفعه وضره، فيتضرع إليه، ويرتعب منه.

٣ ـ الإيمان بالتوحيد ينشيء في المرء التواضع. فلا تراه يفخر بماله وعزته وكفاءته، وإنما يقول: هي هبة من الله تعالى.

بخلاف الملحد الذي يبطر إذا حدثت له نعمة عاجلة، ويشمخ بأنفه على غيره.

٤ ـ المؤمن يرى أن النجاة والفلاح لا تكون إلا بتزكية النفس، والعمل الصالح، والبِرّ، والتقى.

أما المشرك فيقول: إن ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا، أو نحن أبناء الله وأحباؤه، فلن يعذبنا بذنوبنا، أو نستشفع بكبرائنا وأتقيائنا، أو بتقديم النذور والقرابين إلى الآلهة.

والملحد يقول: لا نسأل عن أعمالنا، فالشهوات النفسية هي آلهتهم.

٥ ـ المؤمن لا يتسرب إليه اليأس، بل هو مطمئن مملوء سكينة وأملاً، ولو أهين، ولو أوذي.

أما المشرك والملحد فلا يقوى قلبه على الوقوف بالمحن، وقد يفضي اليأس بهم إلى الانتحار.

٦ ـ المؤمن على قوة عظيمة من العزم والإقدام، والصبر والثبات، والتوكل، فإذا كان حاكماً لا يبتغي إلا مرضاة الله ﷻ، ولا يهمه إلا إقامة العدل، لأن وراءه قوة علوية، تكلؤه، وترعاه، وتأخذ بيده.

أما المشرك والملحد فلا ينتظر مثل هذه القوة، فلا يملك عندئذ من العزم والتوكل ما يملكه المؤمن.

٧ ـ المؤمن على قدر كبير من الشجاعة والجرأة، لأن الذي يجبن الإنسان، ويوهن عزمه أمران، هما:

أ ـ حبه للنفس والمال والأهل.

ب ـ اعتقاده بأن هناك أحداً يميت غير الله، وأنه قادر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة من الحيل.

فالمؤمن يؤمن بأن مالك النفس والمال والأهل هو الله تعالى، وأن المميت هو الله وحده بالأجل المحتوم المخصص، فلا يخشى عندئذ رجلاً أو حرباً، فلا يكون أجرأ ولا أشجع من المؤمن الحق. بخلاف الملحد والمشرك الجبان، الذي يخشى زحف الجيوش وقوة العدو.

٨ ـ الإيمان يرفع قدر الإنسان، وينشيء فيه: الترفُّع والقناعة والاستغناء، ويطهّر قلبه من الطمع واللؤم، والعواطف السافلة، والصفات القبيحة الأخرى، فالرزق ليس إلا بيد الله وحده، فلا نجاح ولا خسران إلا بيده تعالى.

أما الملحد والمشرك فهو عبد الطمع والشره، همّه الكسب بالسبل المشروعة وغير المشروعة.

٩ ـ الإيمان يجعل الإنسان متقيداً بقانون الله، ومحافظاً عليه. فهو إن خلا بنفسه ليلاً أو نهاراً، يعلم أن عليه رقيباً، يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، فتراه يسارع إلى الخيرات، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. فوازعه النفسي يحضه على الخير، وينهاه عن كل رذيلة.

أما الملحد والمشرك فلا يرى شيئاً من هذا[1].

(١) مبادىء الإسلام ص٧١ ـ ٧٧.

pdfelement